

٩١/٠٥/١١

دریافت

٩٤/٣/١٨

تأیید

مظاهر الرمز التراثی فی شعر سمیح القاسم

الدكتور سيد محمدرضا خضري*

منال فلاح**

الملخص

يتمتع الرمز بمكانة خاصة في الشعر العربي المعاصر، بحيث يمكن أن نجده في أشعار غالبية الشعراء المعاصرين، و مما لا شك فيه أن الرمز يظهر بوضوح في شعر الشاعر الفلسطيني المعروف سميح القاسم، و هذا ما دفعنا للبحث عن هذه الظاهرة الفنية الأدبية في شعره، لذلك قمنا أولاً باستخراج الرموز الأساسية في شعره، ثم قمنا بتحليلها و دراستها، و في هذا الإطار أشرنا لأنواع الرمز التراثي و مصادرها الأساسية و هي الدين و التاريخ و الأسطورة و الفولكلور، هذه الرموز التي وظيفها الشاعر بمنتهاى البراعة و الذوق، فقد سعى الشاعر دائماً لتقديم الوجه الإيجابي لهذه الرموز، بحيث يمكننا القول أن روحاً إيجابية تسيطر على رموزه. يسعى هذا البحث للإجابة عن سؤالين هامين هما: ١- ما هي أهم الرموز التراثية لدى سميح القاسم؟ ٢- ما هي سمات هذه الرموز؟

الكلمات الرئيسية:

الشعر العربي المعاصر، التراث، سميح القاسم، الرمز، الأسطورة.

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة الشهيد بهشتي.

** طالبة مرحلة دكتوراه في فرع اللغة العربية و آدابها بجامعة طهران. ahmad.mana182@yahoo.com

المقدمة:

تتميز القصيدة العربية المعاصرة باعتمادها الرمز بأنواعه المختلفة كعضو في بنيتها، يضيف عليها ظلالاً شفيفة، و يمنحها الجمال و الحيوية، و يكسوها بغموض محبب يثير العقل و الشعور معاً، و يمكن القول إن الرمز يشغل الآن بعداً أساسياً في القصيدة كبديل لوسائل التعبير الأخرى، و كشكل من أشكال الصورة الشعرية و علاقة الرمز بالشعر علاقة قديمة " فالرمز يعيد الشعر إلى بناييعه الأولى لأن الشعر في أصول أغراضه لا ينوه عن الأشياء الواقعية مباشرة بل يعبر عنها بطريقة صورية" (كرم، ١٩٤٣: ٢) و هذا ما دفع بعض النقاد للقول بوجود الرمز في الشعر الجاهلي يقول إحسان عباس: " فالظلل في الشعر العربي رمز لعواطف إنسانية و فردية عميقة، و بكاء الظلل لا يعنى بكاء المواد التي يتكون منها لذاتها" (عباس، ١٩٩٦: ٢٠٠) فالظلل رمز للأوممة و المرأة رمز للحياة و الخصوبة، و الرمز ظلّ موجوداً في الشعر في عصوره المختلفة و لاسيما الشعر الصوفي الذي يشكل الرمز فيه أساساً في القصيدة.

و يعد الشاعر سميح القاسم واحداً من أهم شعراء المقاومة الفلسطينية، الذين تتبع أهمية شعرهم من مضمونه الثوري و الوطني و تميزه الأسلوبى الذي يشكل الرمز أحد ظواهره البارزة، و قد تصدت كتب و دراسات كثيرة لشعر سميح القاسم، و لمكانة الرمز في أشعاره، و منها كتاب (لغة الشعر عند سميح القاسم) للكاتب جمال يونس، الذي عالج موضوع الأساطير و الرموز عند القاسم معتبراً الأسطورة عند سميح القاسم شكلاً تعبيرياً يساعد على تجسيم فكرة الشاعر و التفنن في توصيلها، و يرى الكاتب في الرمز عند القاسم وسيلة من وسائل الإيحاء يستفز القارئ و يجعله عضواً في العملية الإبداعية، و إن كنا نميلُ إلى اعتبار الأسطورة و الرمز وجهاً من وجوه الصورة الفنية، فالرمز هو أرقى ما وصلت إليه الصورة في رحلة تطورها، و من الدراسات التي تناولت

شعر سميح القاسم، رسالة دكتوراه مقدمة من الباحث حسين أبويساني إلى جامعة طهران عام ١٣٨٢ش، بعنوان (أدبيات مقاومة فلسطين و بازتاب آن در أشعار سمیح القاسم) و عالج الباحث في الفصل السابع من رسالته تلك، موضوع الرمز و مكانته في الشعر الفلسطيني و تصدى لمجموعة من الرموز الطبيعية و التاريخية و الأسطورية عند القاسم كالشنفري و الطيور و الأفاعي و صقر قريش و أوديب و ابنته انتيجونا و قرقاش و أزوريس و المدن و الصحراء، و قد اعتبر الباحثُ أزوريس في قصيدة حوارية العار، رمزاً للتضحية و الفداء عند القوى المقاومة، أمّا قرقاش فهو عنده رمزٌ للحكومة الإسرائيلية المستبدة، كما عدَّ أوديب رمزاً للأمة و رمزاً لإنسان العصر الجديد، أما انتيجونا فهي رمزٌ للوفاء للأب و الفداء، و اعتبر الباحث صقر قريش رمزاً ذو بعدين البعد الأول هو بعد السفر الطويل إلى الأندلس، و البعد الثاني هو بعد النجاح في بناء الدولة الأموية في الأندلس، أما الشنفري فهو عنده معادلٌ رمزي لآلام و آمال الإنسان الفلسطيني، و من الملاحظ أن الباحث لم يلتفت إلى أن هذه الرموز التي ناقشها كالشنفري و صقر قريش و أنتيجونا و أزوريس، ترتقى عند سميح القاسم لتصبح أقتعةً يتخذها الشاعر ليعبر من خلالها عن أفكاره و عواطفه، بطريقة غير مباشرة، و قد قمتُ بمعالجة هذه الرموز في مقالة أخرى بعنوان رمز القناع في شعر سميح القاسم، و من الدراسات التي تناولت شعر سميح القاسم و الرمز عنده، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة تربيت مدرس في طهران بهممن (١٣٨٩ش) من الباحث مرتضى زارع برمي بور بعنوان (تحليل عناصر مقاومة در اشعار سمیح القاسم، سيد حسن حسيني و قيصر أمين بور) و تناولت دراسته أوجه الشبه و الإختلاف بين شعراء المقاومة الثلاثة في المضمون و الأسلوب الشعري و تناول في الفصل الرابع من بحثه اللغة الشعرية و الصور الخيالية عند الشعراء الثلاثة، و خلص إلى أن استخدام الصور الخيالية

و الرمز و البناء الحماسي، هي أهم ما يميز الشعراء الثلاثة، كما خلص الباحث إلى اعتماد سميح القاسم على الأساطير العالمية و الدينية لخدمة أهداف المقاومة الفلسطينية.

و من الرسائل الجامعية التي تطرقت للرمز عند سميح القاسم رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة النجاح الفلسطينية عام ٢٠٠١م للباحثة رقية زيدان بعنوان (التغير الدلالي في شعر سميح القاسم) و قد قامت الباحثة في دراستها بإبراز الدلالات الإشارية التي تعتمد الإيحاء و الرمز و لا تعتمد على تقديم اللفظ طبقاً لدلالته المألوفة، و ذلك بتحليل الدلالات و ربطها بمنابعها الخاصة و حصر أبعادها و تحديد الدلالة المرجعية لها من حيث هي رمز أو أسطورة أو تراث ديني أو أدبي أو شعبي، و ما يهمننا من النتائج التي توصلت إليها الباحثة، استخدام القاسم للإشارات و الرموز المكتنفة بعد نكسة حزيران (١٩٦٧) باستخدام ألفاظ مثل الحمام الزاجل المنفي، المسيح المصلوب، القرمطي، ليعطى دلالة على الإنسان الفلسطيني المعذب.

ولادته:

و لد الشاعر سميح القاسم في مدينة الزرقاء الأردنية في ١١/٥/١٩٣٩م، لعائلة آل حسين المعروفين بميلهم الشديد للثقافة، و أسهم هذا الجو الثقافي الذي نشأ فيه، في بلورة ثقافته العربية، و نزعتة التقدمية، و قد قضى سميح فترة دراسته الابتدائية في الرامة، و أكمل دراسته الثانوية في الناصرة، و درس الفلسفة لمدة سنة في موسكو، برزت اهتماماته الأدبية و السياسية في سن مبكرة، و تعرض للسجن و الإقامة الجبرية عدة مرات، لكنه ظل يجد الوقت لكتابة قصيدة في الطاغوت الإسرائيلي، عمل معلماً و صحفياً و رئيساً للتحريير، و أسس منشورات عربسك مع الكاتب عصام خوري عام ١٩٧٣ تنوعت

أعماله الأدبية بين الشعر و النثر، منها دواوين مواكب الشمس و أغاني الدروب و لا استأذن أحداً، و ترجمت أعماله إلى الكثير من لغات العالم و حصل على جائزة (غار الشعر) من اسبانيا و على جائزتين من فرنسا(القاسم، ٢٠٠٤: ٨). توفي الشاعر في التاسع عشر من شهر آب عام ٢٠١٤ ميلادي في الأراضى المحتلة، و دفن في قريته الرامة.

تعريف الرمز:

الرمز لغةً: تصويت خفى باللسان كالهمس، و يكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت إنما هو إشارة بالشفتين، و قيل الرمز إشارة و إيماء بالعينين و الحاجبين و الشفتين و الفم. و الرمز في اللغة كل ما أشرت إليه مما يُبان بلفظ بأى شىء أشرت إليه بيد أو عين، و رمز يرمز رمزاً، و فى التنزيل العزيز فى قصة زكريا عليه السلام " ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً " (ابن منظور: ٢٢٣) و الرمز هو الإيماء و الإشارة. (مصطفى، إبراهيم و آخرون ١٣٨٥: ٣٧٢)

و الرمز اصطلاحاً: هو الإشارة بكلمة تدل على محسوس أو غير محسوس إلى معنى غير محدد و مختلف حسب خيال الأديب و قد يتفاوت القراء فى فهمه، و ادراك مداه بمقدار ثقافتهم و رهافة حسهم. (عبد النور، ١٩٧٩: ١٢٣) و الرمز عند عزالدين اسماعيل "ليس إلا وجهاً مقنعاً من وجوه التعبير بالصورة." (اسماعيل، ١٩٨١: ١٩٥) مرتبط أشد الارتباط بالتجربة الشعورية "الرمز الشعري مرتبط كل الارتباط بالتجربة الشعورية التى يعاينها الشاعر و التى تمنح الأشياء مغزىً خاصاً و ليس هناك ما هو فى ذاته أهم من أى شىء آخر إلا بالنسبة للنفس و هى فى بؤرة التجربة." (المصدر نفسه: ١٩٨) و الرمز عند نعيم اليافى هو نمط صوري يميزه عن بقية الأنماط النسق أو

السياق الذي لا بد أن يخلق له فالرمز "صورة حرة مكثفة إلى حد بعيد، و مبالغة بدقة بالغة، ولكنها صورة غير مباشرة إنها نوع من الرؤية والحدس" (اليافي، ٢٠٠٨: ٢٣٤) وهو عند احسان عباس: "الدلالة على ما وراء المعنى الظاهري، مع اعتبار المعنى الظاهري مقصوداً أيضاً" (عباس، ١٩٩٦: ٢٠٠) و الرمز عند سلمي الجيوسي هو أكثر أشكال التعبير الشعرية مواربة "وهو تعمد استخدام كلمة أو عبارة لتدلّ على شيء آخر لا بالتشابه - لأن الرمز نقيض الإستعارة والتشبيه، يفتقر إلى المشبه به - بل بالإيحاء والإشارة ويختار الشاعر الرمز على هواه ليقوم مقام فكرة أو نسق أفكار، وقد يوصف بأنه نوع من القناع يغطي الأفكار." (الخضراء الجيوسي، ٢٠٠١: ٧٨١)

و الشعر يصاغ من كلمات تشكل رموزاً تدل على أشياء محسوسة وغير محسوسة وهذا ما أشار إليه مالارمييه بقوله: "إن الشعر لا يصنع من الأفكار، إنه مصنوع من الأشياء، أو من كلمات تدل على أشياء." (مكليش، ١٩٦٣: ٣١) فالرمز إذاً هو وسيلة فنية تعبيرية تقوم على الإيحاء الذي يشكل روح الشعر، ويميزه عن النثر. ولكن دلالة الكلمة الرامزة ليست واحدة إذ تختلف باختلاف الحالة النفسية للشعراء، لارتباط الرمز أشد الارتباط بالتجربة الشعورية للشاعر.

الرمز التراثي:

ورد في المعجم الأدبي أن التراث "هو ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب وخبرات وفنون وعلوم في شعب من الشعوب، وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي والإنساني والسياسي والتاريخي، ويوثق علاقته بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه" (عبد النور، ١٩٧٩: ٦٣) ويمثل التراث الوطني والقومي بل والإنساني، منجماً غنياً

بالكنوز يستمد منه الشعراء المعاصرون صورهم و رموزهم و أفنعتهم، و بذلك يتسع إطار الرمز التراثي أيضاً ليشمل التاريخ و الأسطورة و الدين و الأدب بكل ما تحمله من شخصيات و أحداث ثرية تُغنى تجربة الشاعر، و تربط بين خبرة الماضي و تجربة الحاضر.

أنواع الرمز التراثي في شعر سميح القاسم:

و يتجلى الرمز التراثي في شعر سميح القاسم في الرمز التاريخي و الديني و الأسطوري و الأدبي و الرمز الشعبي .

الرمز التاريخي و الديني:

يعد الرمز التاريخي أداة تعبيرية هامة، تقوم على استلهام المواقف و الشخصيات التاريخية و توظيفها في العمل الشعري، مما يسهم في إغناء التجربة الشعرية، و إثارة مجموعة كبيرة من الدلالات التي تربط الماضي بالحاضر، "وهذه الشخصيات و المواقف إنما تستدعيها التجربة الشعورية الراهنة لكي تضيف عليها أهمية خاصة. فالتجربة إنما تتعامل مع هذه الشخصيات و المواقف تعاملاً شعرياً على مستوى الرمز، فتستغل فيها خاصة الامتلاء بالمغزى أو بأكثر من مغزى تلك الخاصة المميزة للرمز الفني" (اسماعيل، ١٩٨١: ٢٠٣) و يضم الرمز التاريخي عند القاسم الرموز المستلهمة من الدين و الأدب.

أ- المعتصم: و هو الخليفة العباسي الشهير بقصته مع المرأة العربية التي اعتدى عليها على حدود بلاد الروم فصرخت مستنجدة و امعتصماه، فلباها بجيش عظيم فتح عمورية، و الواقع الفلسطيني الراهن هو ما يستدعي هذه الواقعة التاريخية، إذ تستجد فلسطين كل لحظة و ما من مجيب.

يقول الشاعر في قصيدة معتصماه:

فوجد خطونا في الدرب !
 وشد القلب نحو القلب !
 و عاهدنا على الصبر
 و ساندنا ..إلى النصر
 أو القبر !!

فقد طالت سنون الجوع و الفقر ! (القاسم، ٢٠٠٤: ٣٦٧)

كما نرى يستدعي الشاعر شخصية المعتصم، و موقفه من المرأة المستغيثة، كرمز للنخوة و الشهامة العربية التي لا بد لها أن تستيقظ يوماً من نومها الطويل، لتوحد جميع العرب على قلب رجل واحد، في معركة تحرير فلسطين و تقودهم نحو النصر أو الشهادة، و القاسم هنا يخلق نوعاً من المفارقة بين موقف الشخصية التاريخية (المعتصم) من نداء المرأة التي لم يذهب نداؤها سدى، و بين موقف الحكام العرب الذين لم تحرك المحنة الفلسطينية في وجدانهم شيئاً.

ب- يوسف بن يعقوب عليه السلام: و يقوم القاسم هنا بإسقاط أبعاد التجربة المعاصرة في فلسطين على المعطيات التاريخية، فقصة تآمر إخوة يوسف عليه، و إلقاءه في الجب شبيهة بتآمر القوى الإستعمارية العظمى آنذاك و في مقدمتها بريطانيا على فلسطين، و ذلك بمنح بريطانيا وعدّها المشؤوم لليهود يقول الشاعر في قصيدة يوسف:

أحبائي! أحبائي!
 إذا حنت علىّ الريح
 و قالت مرة: ماذا يريد سميح؟
 و شاءت أن تزودكم بأنبائي ...
 فمروا لي بخيمة شيخنا يعقوب

و قولوا: إننى من بعد لثم يديه عن بعد
أبشره...أبشره....بعودة يوسف المحبوب!

فإن الله و الإنسان ... فى الدنيا....على وعد!! (المصدر نفسه: ٣٤١)

يستدعى الشاعر هنا قصة النبی يوسف و أبيه يعقوب بدلالاتها الرمزية، و يبدأ النص بكلمة (أحبائى) بكل ما تحمله هذه الكلمة من محبة و تفاعل، إنها نوع من البشارة يحملها الشاعر لشعبه، حيث يجتمع يعقوب مع ابنه يوسف بعد مرور أعوامٍ طويلةٍ، قاسى فيها يوسف ألواناً من التآمر و الظلم، و ذاق فيها مرارة التشريد، كما عانى يعقوب مرارة الإحساس بالفقد الانتظار، و هذا ما حصل مع الشعب الفلسطينى تماماً، و القصيدة بشارة بحتمية انتصار الحق و عودة الشعب الفلسطينى (يوسف) إلى حضن الأرض الحبيبة فلسطين (يعقوب).
ت - يهوشع بن نون (عليه السلام): و هو البطل اليهودى الذى قاد انتصارات اليهود بعد موت سيدنا موسى عليه السلام، إذ قادهم يوشع بن نون إلى الأرض المقدسة، فذهبوا إلى فلسطين، و فى أريحا كانت معركتهم مع الكنعانيين، سكان الأرض الأصليين، و قد كانت المعركة فى يوم الجمعة، و حرم الله عليهم العمل و القتال فى يوم السبت، و أوشكت شمس يوم الجمعة على الغروب، فدعا نبيهم يوشع بن نون ربه أن يوقف الشمس فتوقفت فى مكانها لا تتزحزح، حتى حسمت المعركة و انتصروا (السويدان، ٢٠٠٥: ٣٤)،
يقول الشاعر فى قصيدة يهوشع مات:

يهوشع مات

فلا تستوقفوا الشمس و لا تستمهلوا الغروب

سور أريحا شامخ فى وجهكم إلى الأبد

يا و يلکم ! يا و يلکم !

سرعان ما تغوص فى أعماقكم

أظافر الغروب

يهوشع راح.. ولن يؤوب

يهوشع مات !! (القاسم، ٢٠٠٤: ٩٦)

تبدأ هذه القصيدة و تنتهي بالنعي يهوشع مات، لتأكيد الفكرة، فكرة نعي أسطورة الإنتصار اليهودية، و نعي لدولة شمسها زائلة لا محالة، و إعلان لولادة شمس الصمود الفلسطيني الباقية إلى الأبد، فالثورة الفلسطينية قادمة بقوة و لا يمكن إيقافها، ليضئ النهار الفلسطيني، و يبدأ ليل انكسارات الكيان الإسرائيلي و اضمحلاله، و يوظف القاسم هنا شخصية يهوشع بن نون كصورة جزئية ضمن مجموعة من الصور التي تحمل الرؤية الشعرية، و منها صورة الشمس و الغروب اللذين لا ينصعان لأوامر العدو، و صورة أظافر الغروب الغائصة في أعماق الأعداء.

ث - بينون: وهو بنيامين الابن الأصغر المدلل لسيدنا يعقوب عليه السلام، و يرمز في قصائد سميح القاسم إلى إسرائيل المدللة من قبل القوى الاستعمارية الكبرى و على رأسها بريطانيا التي أوجدت هذا الكيان و أعطته التسهيلات و الإمتيازات على أرض فلسطين.

يقول الشاعر في قصيدة سيرة بنيون:

قهقه الطفل بنيون في مهده

العسكري الحزين

ثم صاح بضباطه الظافرين:

هكذا فكرة بعد فكرة

هكذا ذرة بعد ذرة

فتشوا كل بذرة

راقبوا الميتين

و أعدوا جهاز التقاط لتسجيل حلم الجنين. (القاسم، ٢٠٠٤: ٩٦)
فالمقطع تصوير لعنجهية اسرائيل منذ ظهورها إلى الوجود، و سيطرتها على
الأرض الفلسطينية بقوة السلاح و النار، و رغبة هذا الكيان الغاشم في التحكم
بحاضر الشعب الفلسطيني و ماضيه و مستقبله و أحلامه، فالبذرة رمز للحاضر
و الميتين رمز للماضي و الجنين رمز للمستقبل و طموحاته.

ج- هاجر: تقتزن شخصية هاجر في تاريخنا العربي بسيدنا إسماعيل أبي
العرب، و اسمها يحمل معنى الهجرة و الرحيل، لذا فهي معادل موضوعي
لشعب الفلسطيني المغترب عن أرضه، الضائع و المشرّد في بقاع الأرض
المختلفة، يقول الشاعر في قصيدة سيرة بينون:

صاح صيحته فارس الدم و الياسمين:

هاجر المتعبه

سئمت في المنافي و لائمها المرعبة (المصدر نفسه: ٩٨)

و يقول الشاعر كذلك في سرية أشد من الماء حزناً:

وحيداً بعريك تحت السماء البعيدة

وحيداً .. كثير الأبوات

لكن لأم وحيدة

لهاجر ضائعة في الرمال

مشردة عن حقول السنابل (المصدر نفسه: ٣٥٨)

ح- جليات (جالوت): يعد هذا البطل الفلسطيني الذي ذكر اسمه في القرآن
ثلاث مرات (القرآن الكريم، سورة البقرة: ٢٤٩-٢٥٠-٢٥١)، في معرض
الحديث عن قتاله مع طالوت و سيدنا داود عليه السلام، رمزاً لكل فلسطيني
مقاوم يقول الشاعر في قصيدة سيرة جليات:

و اخترقت قامته أرتال دبابات

و اخترقت جبينه أسراب طيارات
لكنه ظلّ هناك واقفاً

وصاح:

عن أيّ مقلع تثرثرون؟
و أيّ قزم خائر تمجدون؟ يا أيها الغزاة
منذا الذي قد مات؟
هاأنذا حي أنا حي أنا جليات!

حي أنا يا أيها الغزاة.. (القاسم، ٢٠٠٤، ج ٤: ١٠٢)

يعد النص تمجيداً لقوة الشعب الفلسطيني المقاوم، و الصامد في وجه أعتى القوى العسكرية، و إذا كانت اسرائيل تستمد قوتها من الدبابات و الطائرات و المدافع، و كلّ وسائل القتل و الإجرام، فإنّ الشعب الفلسطيني يستمد قوته من روحه و إرادته القوية، التي لا يمكن لكلّ الوسائل الحربية أن تهزمها، كما يحمل هذا النص الكثير من علامات التفاوض بالمستقبل و الإصرار على المقاومة، فجليات الفلسطيني ما يزال صامداً في وجه القوة العسكرية الغاشمة، ساخراً من كلّ الأكاذيب التي يطلقها الغازي الاسرائيلي، فجليات حيّ لم يمّت، حيّ يتجسّد في كل فلسطيني مقاوم.

خ- الرّبذى: و الرّبذى اسم منسوب إلى الرّبذة، و قد جاء في معجم البلدان أنها من قرى المدينة على ثلاثة أيام من ذات عرق على طريق الحجاز، إذا رحلت من فيد تريد مكة، و بهذا الموضع قبر أبي ذر الغفارى رضى الله عنه، و اسمه جندب ابن جنادة، خرج إليها مغاضباً لعثمان بن عفان إلى أن مات فيها، (الحموى، ١٩٥٧، ج ٣: ٢٤) و يتخذ القاسم من أبي ذر الغفارى المنفى في الرّبذة، رمزاً للفلسطيني، منفيّ هذا العصر، المقهور في زمنٍ فقدت فيه الأمة العربية ذاكرتها، يقول:

يصيح من أغواره المائرة
أنا قتيل القهر
أنا شهيد الدمعة الخاسرة
في أمة
فاقدة الذاكرة

ربديُّ هذا العصر (القاسم، ٢٠٠٤، ج ٤: ١٩٨)
و رغم موت الربدي في منفاه، مقهوراً حزيناً يبقى الرجاء في بعثه حياً من
جديد:

ربما يشهد الربدي ولادته الثانية
و ولايته الثانية

ربما تستعيد نبوءتها البادية (المصدر نفسه: ٣٢٦-٣٢٧).

د- الصليب: و يعد الصليب رمزاً للعذابات التي سببها بنى إسرائيل للسيد
المسيح، و تبعها الخلاص، و الصليب في الشعر الفلسطيني رمز لمعاناة الشعب
الفلسطيني في ظل الاحتلال، و التي ستنتهي بحريته، فمن صليبه تزهر الحياة و
تتفتح، يقول الشاعر:

أعدوا صليبي

على قبة القدس في مشرق الشمس

موتى و بعثى

و موتى و وجه حبيبي

أنا سيد الجلجلة

أعدوا صليبي

أعدوا صليبي (القاسم، ٢٠٠٤، ج ٤: ٤١٨)

و قد أشارت ريتا عوض في دراستها أسطورة الموت و الإنبعث في الشعر

العربي الحديث، إلى أن الصليب وصف بأنه شجرة الحياة المغروسة في الجلجلة و الشجرة النامية من الأرض إلى السماء، و المسيحية حولت الصليب من شجرة الموت إلى شجرة الحياة فأصبح الصليب رمزاً للموت و الإنبعاث. (عوض، ١٩٧٤: ٣٦)

ذ- الرمز الصوفي: ذهب إحسان عباس إلى أن من يدرس الشعر العربي المعاصر لا يخطئه اتجاه هذا الشعر للتصوف، ليغدو هذا الاتجاه من أبرز الاتجاهات في الشعر المعاصر، و لعل ذلك راجعاً إلى طول عملية التقدم و التراجع في الحياة السياسية، و اليأس الغالب و السأم من متابعة الكفاح (عباس، ١٩٨٧: ١٦٤) و من خلال قراءة لأعمال القاسم الشعرية، وجدته يستعمل العديد من الرموز الصوفية، و لا سيما في ديوانه (سبحة السجلات)، حيث نجد رموز الحضرة و الوجد و الكوثر:

بسم الله

أترعت يدي بقمح الحضرة

قلبي المعمود

يطفح بالوجد الأزلي.. وآه

هل يطفئ ظمأى

كوثر مولاي الجسد (العابد و المعبود)

السابق جسدي

و اللاحق جسدي

مسكوناً بمباهج تقواى الأبدية

و الموت تقيية (القاسم، ٢٠٠٤: ٢٧٩)

و نجد رموز الصوفية، أيضاً في قوله:

بستان حبيبي إسرائي

معراجي فاكهة حبيبي
و براقى

شغفى بالله! (القاسم، ٢٠٠٤، ج ٤: ٢١٩)

و قد لاحظتُ اتجاه القاسم إلى آفاق صوفية سريلية مستمدة من الحلم، في أعماله الأخيرة في المجلد الرابع، و تتمُّ كتاباته هذه عن مناخ شعري سرىالى، يصعب الوصول إلى دلالاته، و يحتاج فهمه إلى تأملٍ و جهدٍ كبيرين كما فى قول القاسم:

على الماء أمشى
و أحمل نعشى
و فى النار أمشى

و أحمل عالمكم ذرةً من غبار (المصدر نفسه: ٢٩١)

فالمقطع الشعري هنا يلفه الغموض و الخفاء، و لا بد من التفكير بغية لم شتات الصورة، فالمشى حركة تدل على الحياة، و حمل النعش يدل على الموت، و المشى على النار يدل على العذاب، فربما قصد الشاعر أن الموت و الحياة وجهان لعملة واحدة، فمن الحياة ينبثق الموت، و من الموت تولد الحياة، و بين الحياة و الموت رحلة العذاب يحيها الشاعر، فى عالم لا يساوى عنده ذرةً من غبار.

و يقول القاسم فى سرية أشد من الماء حزناً:

أشد من الماء حزناً

تغربت فى دهشة الموت، عن هذه الياسة

أشد من الماء حزناً

و أعتى من الريح توقاً إلى لحظة ناعسة

وحيداً.. و مزدحماً بالملايين

خلف شبابيكها الدامسة (المصدر نفسه: ٣٤٩)
 و الصورة الشعرية هنا ملتبسة أيضاً، فمكونات الصورة هنا (الماء، الموت،
 اليابسة، الريح) مكونات مألوفة، مستمدة من الواقع، ولكنها تدخل هنا في
 علاقات غير مألوفة، فكيف يكون الماء حزيناً، وكيف تكون دهشة الموت، و
 كيف تتوق الريح إلى النعاس، و هنا أيضاً نجد الحياة الكامنة في الماء، و يقابلها
 الموت، و بينهما الحزن و رغبة الريح (الشاعر) في الخلود إلى الراحة.
 الرمز الأدبي: و يقوم الرمز الأدبي على استلهم شخصيات مستمدة من
 الأدب بفروعه المختلفة، فمن المسرح استلهم القاسم، شخصية شايلوك، و من
 الرواية استلهم القاسم شخصية دون كيشوت، و من الشعر استلهم القاسم
 شخصية ليلي و قيس بن الملوح.

أ- دون كيشوت: و يستدعي القاسم هنا شخصية دون كيشوت ليعبر من
 خلالها عن عبثية و تخلف وسائل و أدوات النضال العربية التي لا تستند في
 الغالب على المنطق و القوة، بل على الوهم و الخرافة:

أحس أننا نموت

لأننا.. لا نتقن النضال

لأننا نعيد دون كيشوت

لأننا لهفي على الرجال (القاسم، ٢٠٠٤، ج ١: ٦٨)

ب- شايلوك: و يمثل شخصية المراهبي اليهودي الحاقدي في مسرحية تاجر
 البندقية لشكسبير، و يرمز القاسم بـ (شايلوك) للإسرائيلي البغيض الذي
 يستعمل كل ما أوتى من نفوذ في سبيل محاصرة الشعب الفلسطيني و التعتيم
 على قضيته، و استثمار أيّ حادثٍ ليظهر الإسرائيلي بمظهر الضحية التي لا
 تملك من أمرها شيئاً، فيسمى شهادة الفدائيين إرهاباً، و يصبح الإسرائيلي
 المعتدى، معتدىً عليه يقول الشاعر في قصيدة شايلوك:

شايلوك!

يجيد اللغات

و يتقن كل الجهات

يحاصرني... و يدي لا تظال

وصمتي اعتقال، وصوتي اعتقال (المصدر نفسه، ج ٣: ٢٦٢)

ت - قيس و ليلي: و يرمز القاسم بـ(ليلي) لفلسطين و يرمز بـ(قيس)

للشعب العربي في قصيدة إعراف:

تلك ليلاك

على أرصفة العار

بغى تتطوح

و على أذرعة البحارة الأغراب

تنثال و تطرح (القاسم، ج ٣: ١٤)

و الخطاب هنا موجه لقيس بن الملوح (الشعب العربي) الغارق في غفلته،

دون أن يشعر بالعار و الخزي، بينما ليلاه (فلسطين)، تتحول إلى العوبة في أيدي

الغرباء .

الرموز الأسطورية: الأسطورة كلمة لها جاذبية خاصة، ولدت في أحضان الشعر، و ولد الشعر في أحضانها، و عودة الشاعر المعاصر إلى الأسطورة يعنى عودته للوعى الإنسانى على مر العصور و تعنى انفتاحه على الآخر، و افادته من قدرة الأسطورة على تكثيف المعنى و اختزال اللفظ، و الأسطورة فى الأصل هى " الجزء الناطق من الشعائر أو الطقوس البدائية و هى بمعناها الأعم حكاية مجهولة المؤلف تتحدث عن الأصل و العلة و القدر و يفسر بها المجتمع ظواهر الكون و الإنسان تفسيراً لا يخلو من نزعة تربوية تعليمية." (أحمد، ١٩٨٤:

(٢٨٨)

و يعد استخدام الأسطورة من السمات المميزة للشعر المعاصر، في "محاولة للإرتفاع بالقصيدة من تشخصها الذاتي إلى إنسانيتها الأشمل والأعم وإلى إكسابها بعداً أعمق و مجالاً أفسح و تأثيراً أرحب، و لتتجاوز في الوقت نفسه الآنى المحدد الزمنية إلى الجوهر الممتد إلى زمنية مطلقة. " (عيد، ١٩٨٥: ٩٨) أ- طائر الرعد (العنقاء، الفينيق): و يمثل القوة العليا في الأسطورة الأمريكية، و هو طائر العنقاء عند العرب، و الفينيق عند اليونان، و "يقال أنه يعمر خمسة قرون أو ستة ثم يحرق نفسه لينبعث من رماده مرة أخرى." (المصدر نفسه: ٣٢٦).

يقول الشاعر في قصيدة في انتظار طائر الرعد:

و يكون أن يأتي

يأتي مع الشمس

وجه تشوه في غبار مناهج الدرس

و يكون أن يأتي

بعد انتحار القحط في صوتي

شيء..روائعه بلا حدّ

شيء يسمى في الأغاني:

طائر الرعد! ثوب شكاة علوم انساني ومطالعات فربنخي

لا بد أن يأتي

فلقد بلغناها

بلغنا قمة الموت!! (القاسم، ٢٠٠٤ ج ١: ٢٧)

يشكل طائر الرعد رمزاً للتجدد و الإنبعاث، و الطلوع من الفناء، فالشمس تولد كل يوم و ينبعث الأمل معها، و حتماً سيأتي طائر الرعد ليحقق الروائع و المعجزات، فقد وصلنا لقمة الموت و من الموت تنبثق الحياة .

و في قصيدة صلاة إلى طائر الرعد يقول القاسم:
أقبل على أسوارنا الملعونة
يا طائر الرعد .. دفعنا الجزية
و لا تزال المدينة

في عنق المسكونة (المصدر نفسه، ج ١: ٥١٧)
و يقول الشاعر في قصيدة سيرة بينون:
ايه هاجر انتظري طائر الرعد و الإخوة الباسلين
ايه، و انتظري طفلة تتقن الموت و البعث

عنقاء من دير ياسين، من عين جالوت، و من ميسلون (المصدر نفسه، ج ٤: ٩٨)
يطلب الشاعر هنا من هاجر و- يرمز بها لفلسطين-، انتظار الخلاص و
البعث الجديد، فمن دماء شهداء دير ياسين و عين جالوت و ميسلون تُصنع
الحرية و الحياة الجديدة، و قد اختار الشاعر للعنقاء الفلسطينية الطالعة من
رمادها أن تكون طفلةً خارقةً تتقن الموت و البعث، كرمز للمستقبل الفلسطيني
الخصب و الجميل، الذي يصنع انتصاراته من انكساراته و ينبعث حياً من رماده.
و في قصيدة العائد إلى مملكة الحبق يقول الشاعر:

آه

لم تهطل الغيمة القاتمة كاه علوم انساني ومطالعات فرنسي
آه يا طائر الرعد

يا واهب الخصب للأعصر القادمة (المصدر نفسه، ج ٢: ٢٩١).

و هنا يصبح طائر الرعد هذه القوة الخارقة للعادة، القادرة على بعث الحياة
الجديدة، رمزاً للبعث و رمزاً للخصب أيضاً، فهو الذي يمنح الخصب للعصور الآتية.
و يقول القاسم أيضاً:

أنا قلب فينيق ينهض من قلب هذا الرماد

و من قلب هذا السواد و هذا الحداد
و في روحه صورةً للبلاد.. كما يشتهي أن تكون البلاد (المصدر نفسه، ج ٤:
(٤١٧).

و كما نرى يتحول الرمز الأسطوري عند القاسم إلى صورة شعرية، تقوم
على تكثيف التجربة و اختزالها، "فليست الأساطير سوى حالات متطرفة من
المجاز." (موز، ١٩٨٦: ٨٨٩).

ب- أسطورة سيزيف: و هنا نرى الشاعر يتعامل مع أسطورة سيزيف
بصورة غير مباشرة حيث لا نجد إشارةً إلى سيزيف، بل إلى مغزى الأسطورة،
و مع ذلك فهذا التعامل غير المباشر مع الرمز "يضيف على الشعر قوة تعبيرية
لها قيمتها و وزنها" (اسماعيل، ١٩٨١: ٢١٦) و ميزة هذه الطريقة في التعامل
مع الرمز الأسطوري القديم "أنها لا تفرض على متلقى الشعر خبرة أو معرفة
بالأسطورة القديمة و بمغزاها حتى يستطيع تمثل المغزى الذي تؤديه العبارة."
(المصدر نفسه: ٢١٦). فقد وظف الشاعر المغزى الأسطوري المتمثل في حمل
الصخرة، و ما تعبر عنه من شقاء و تعب، و رمز بحاملي الصخور إلى
الفلسطينيين، الذين يعانون من حمل صخرة العذاب المتجسدة في الإحتلال
يقول الشاعر في قصيدة السرطان:

تمهلوا يا حاملي الصخور
تمهلوا مفترق الطريق (القاسم، ٢٠٠٤، ج ١: ١٠٢)

ت- عروس النيل: و هي إحدى الأساطير المصرية القديمة، و فيها تقدم
فتاة جميلة، كقربان لنهر النيل الذي كان عندهم إلهاً للخصب و النماء، و ذلك
ليأمن المصريون غضب النيل و ما يمكن أن يلحق بهم من خراب و قحط و
جفاف يقول:

لمن تزينوها.. حبيبتي العذراء
لمن تبرجونها

أحلى صبايا قريتي.. حبيبتى العذراء
 حسناؤنا... لمن تزف
 يا ويلكم، حبيبتى.. لمن تزف
 للطمى، للطحلب، للأسماك، للصدف
 نقتلها، نحرمها، و بعد عام
 تنزل فينا من جديد نكبة الطوفان
 يا ويلكم، أحلى صبايا قريتي قربان
 و نحن نستطيع أن نبتنى السدود

من قبل أن يدهمنا الطوفان! (المصدر نفسه، ج ١: ٩٧)

و تعد هذه القصيدة صياغة جديدة رافضة للأسطورة المصرية القديمة التي يقدم فيها المصريون إحدى فتياتهم قرباناً ليأمنوا غضب النيل و فيضانه، فالحل ليس فى الرضوخ للخرافة و التضحية بأجمل الفتيات بل فى بناء السدود لدرء خطر الفيضان، "فالشاعر الذى يشيد ببناء السدود و يرفض الاستسلام للفيضان يشيد بالتأكيد بعملية استعداد الإنسان العربى فى مواجهة أعدائه متسلحاً بكل الطاقات المادية و المعنوية و يرفض رشق الطائرات الإسرائيلية بالتعاون من أجل إسقاطها" (يونس، ١٩٩١: ١١٣)

ث- إيكاروس: و حسب الأسطورة يصنع ديدالوس جناحين من الريش و الشمع ليطير بهما هارباً من سجنه، و لكنه آثر إيكاروس على نفسه فأعطاه الجناحين و أوصاه بأن ينطلق بهما للحرية على ألا يقترب كثيراً من الشمس فيذوب شمع الجناحين و يهوى إلى الردى، و أوصاه كذلك ألا يقترب كثيراً من البحر فيبتل الجناحان و يعجزان عن حمله غير أن إيكاروس المتعطش للحرية انطلق فى شهوة عارمة للاتحام بالشمس، و ذاب شمع الجناحين و أهوى إيكاروس جثة ممزقة على صخور البحر قرب بيسان، فخرجت

حوريات الماء و رحن يبكيه و يرثينه رثاءً مؤبداً. و يوظف القاسم أسطورة إيكاروس في قصيدة جناز في ثلاثاء الرماد "إلى شهداء بيسان الثلاثة" و يرمز به للشهادة و التضحية بالنفس في سبيل الحرية يقول:

إنهم أقانيم ثورتك يا إيكاروس

إنهم أقانيمك الثلاثة

إنهم أجنحة أبيك المهين الصابر

فاشملهم بروحك و انطلق

إلى الأعلى يا إيكاروس (القاسم، ٢٠٠٤ ج ١: ١٩٠-١٩١)

ج- التنين: و هو مخلوق أسطوري شبيه بالأفعى، ينفث من فمه النار، و تقدم له القرابين اتقاءً لشره و يرمز به القاسم للعدو الإسرائيلي في قصيدة زغرودت بنت الأكابر:

ماذا عليك؟ سلمت يا شعب المنافي و المخافر

شعبي! سلمت مصدعاً أنياب تنين مغامر (المصدر نفسه، ج ٢: ٢٥٥-٢٥٦).

و العدو هو الوحش الخرافي في قصيدة على قلعة الأمبراطور:

أيها الوحش الخرافي .. أسمع؟

إن في الشمس مخاضاً .. فتطلع (المصدر نفسه، ج ١: ٢٩٠).

و يقول القاسم في قصيدة تقرير من الجبهة:

فامدّد أذرع الدمار

يا أيها التنين

كل ذراع

فوقها... خضرٌ و سيف نار (القاسم، ٢٠٠٤، ج ٣: ١٨).

ح- إرم: و "تذكر الأساطير أن إرم هي مدينة ذهبية جدرانها مطلية بالمسك و العنبر و يحيط بها سور فضي بالذهب، حيث أصبحت غير مرئية من

شدة وهج الضوء المنعكس عنها، و نهضت المدينة مؤلفة من مئة ألف قصر ..
 أعمدتها زبرجد و ياقوت، تجرى بينها أنهار حصاها من الجواهر، و على
 حافاتها أشجار جذوعها من الذهب، و أوراقها و ثمارها من اللآلى و أطلقت
 بينها شتى الطيور.. تصدح و تغرد، أمّا في القرآن الكريم فإن مدينة غرقت في
 نعم لا توصف، فغرق أهلها في الرذائل، فأرسل لهم الله من يعظهم لعلمهم
 يرعون، تنكروا لله و كفروا به، و واصلوا ضلالهم "فصب عليهم ربك سوط
 عذاب"، و قد أوضح القاسم في التبين في بداية سرية إرم إرمه التي يحلم بها
 بقوله: " هذه هي إرم التي و رد ذكرها في الأساطير و في القرآن الكريم و التي
 كتب عنها و ألف حولها الكثيرون من الكتاب و الشعراء .. أما إرم التي أحلم و
 اكتب عنها فهي إرم جديدة .. إرم فاضلة .. تحلم بها الإنسانية جمعاء .. و
 تناضل من أجلها .. مضحية في سبيلها الطويل الوعر بجسام التضحيات و
 غواليها .. مؤمنة بأنها البديل الوحيد و واثقة بأنها البديل الأكيد للعبودية
 البشرية، و فنائها الشامل ". (المصدر نفسه، ج ١: ١٩٦)

و السرية مؤلفة من أربعة عشر نشيداً، يقدم الشاعر فيها صورة لإرم الآثمة
 في قصائد البحث عن الجنة و الخطيئة و الوثن و أبطال الراية و هيروشيما، و
 يقدم لنا صورة لإرم الفاضلة من خلال بطاقات إلى ميادين المعركة، و هي
 رسائل موجهة إلى يول روبسن و فيدل كاسترو و جان بول سارتر و نجيب
 محفوظ و كريستوف غبانيا و ثوار فيتكونغ و أورى ديفز و إلى الأسطى سيد و
 إلى مهدى الجواهرى، و تنتهى بقصيدة الطريق.

ففي قصيدة البحث عن الجنة يعبر الشاعر عن حالة القلق و العذاب الأبدى
 التي يعيشها آدم في بحثه عن الجنة إرم الفاضلة يقول:

عبثاً تحاول أن تنام

قدرٌ عليك السهد و الفزع المدمر و الظلام

فاهجر فراشك .. ألف صلِّ في فراشك مستنثار (المصدر نفسه، ج: ١، ١٩٨) و في قصيدة الخطيئة و الوثن يرسم الشاعر صورة إرم الآثمة عبر خطيئة قابيل و قتله أخيه هابيل، و من خلال الظلم الذي يرمز له الرب (راع) الفرعوني الذي كانت تقدم له الذبائح و القرابين البشرية البريئة يقول:

الرب (راع)

ما زال يرمقه الملايين الرعاع

يتعبدون و يرفعون له الذبائح و القرابين البريئة (القاسم، ٢٠٠٤، ج: ١، ٢٠٣) ثم تظهر صورة إرم الآثمة في اللات المتماهية مع الرب (راع) في عملية إسقاط للماضي على الحاضر حيث المدن المعاصرة تغرق في نظمٍ سياسيةٍ فاسدةٍ ظالمة، تسيطر و تتحكم في مصائر البشر يقول:

و المؤمنون الآبقون، وجوههم للات ترنو

في خنوع أبله، قطعانهم في الرمل تزحف (المصدر نفسه: ٢٠٣)

ثم تأتي قصيدة أبطال الراية لتجسد كفاح الإنسان و مقاومته لإرم الآثمة، في سبيل العودة لإرم الفاضلة:

جالد إذا أفلحت، منتزعاً خطاك من الوحول

الداميات

وعد لفردوسك المهجور، للجنات تجرى تحتها

الأنهار، للقصر الكبير (المصدر نفسه: ٢٠٥).

أما من يقود هذا الكفاح المضني في سبيل إرم الفاضلة، فهم الأنبياء موسى و عيسى و سيدنا محمد عليهم السلام، فسيدنا محمد(ص) لم يأت بمعجزات، لأن معجزته الأكبر تتمثل في النور الذي أشرق على العالم مكتسحاً عصور الظلام و الجهل، مبشراً بعصر جديد:

لم تحي أمواتاً و لم تُنهض كسيحاً!

لم تُزل برصاً و لم تخلق نبيداً من مياه
لم تجيء بالمعجزات الخارقات
لكن وجهك يا رسول العصر أشرق في ظلام العصر ..
أحلاماً، و إيماناً وقوة (القاسم، ٢٠٠٤، ج ١: ٢٠٨).
أما ذروة القبح في إرم الآثمة فتجسدها مأساة هيروشيما، حيث ينفجر
الموت الزؤام على البشر لكن الأمل يبقى حياً في العبور إلى إرم الفاضلة:
و اجتاز موكبنا مخاضات الدم الكبرى
إلى شطآن .. جنتنا السعيدة! (المصدر نفسه: ٢١٠).
ثم تأتي صورة إرم الفاضلة و التي يمكن تحقيقها عبر الثورة في ساحات
المعارك، فنراه يوجه رسائل إلى بول روبنسن و فيدل كاسترو و كريستوف
غبانيا و إلى ثوار فيتكونغ و أورى ديفز، و عبر الكلمة الممثلة في نجيب
محفوظ و محمد مهدي الجواهري، و عبر الطبقات الكادحة الممثلة في العمال و
الفلاحين و عبر تضحياتهم في قصيدتي إلى الأسطى سيد و الطريق:
فاحمل لواءك .. و امض .. في هذا الطريق ..
أبدأ .. على .. هذا .. الطريق!!
شرف السواقي .. أنها تفنى .. فدى النهر العميق (المصدر نفسه: ٢٢٠).
خ- يوليس أو عوليس أو أوديسيوس: و هو بطل الأوديسة الذي ضل
طريقه إلى وطنه، و هو في عرض البحر (أحمد، ١٩٨٤: ٢٩٨)، و كثيراً ما وُظِفَ
في الشعر العربي المعاصر للتعبير عن الغربة و الضياع. و في قصيدة خطاب في
سوق البطالة يوظف القاسم يوليس الرمز العائد من رحلة الضياع يقول:
و على الأفق شراع
يتحدى الريح .. واللج .. و يجتاز المخاطر ..
إنها عودة يوليسيز

من بحر الضياع (القاسم، ٢٠٠٤، ج ١: ٢٧٦)
حيث عبر القاسم عن عودة الفلسطيني من خلال الرمز الذي جعل من
الشخصية الأسطورية صورةً مكثفةً للتعبير عن فكرة العودة.

الرمز الشعبي:

أ- الست بدور: تمثل هذه الشخصية الشعبية رمزاً لفلسطين الجميلة،
ضحية بريطافور و بنيون من بعده يقول الشاعر في قصيدة سيرة بريطافور:

آنذاك هبط بريطافور و بنيون إلى الشاطئ الغربي

تقدما بخطى راعدة نحو الست بدور

كانت ترتجف هلعاً و لوعة

بين جث لداتها من عذارى يافا و عكا

قهقهه بريطافور:

ستكونين لى أيتها الجميلة!

بين ساقيه العملاقين ولده الخبيث بينون:

ثم تكونين لى من بعده (القاسم، ٢٠٠٤، ج ٤: ٩٠-٩١)

النص سرد للمؤامرة التي تعرضت لها فلسطين (الست بدور) من قبل
الاحتلال البريطاني الذي سيطر عليها باسم الانتداب، و أسقط مدنها الواحدة
تلو الأخرى، ثم أسلمها إلى الكيان الخبيث (بينون).

ب- قطر الندى: و يستغل الشاعر هنا الحكاية الشعبية عن البنت الجميلة
قطر الندى، كما يوظف أغنية شادية التي غنت لقطر الندى، يا حنا يا حنا يا
قطر الندى يا شباك حبيبي يا عيني جلاب الهوى، و يُضمن القصيدة مقاطعاً من
الأغنية، ليرمز بقطر الندى إلى فلسطين في قصيدة قطر الندى:

و قطر الندى نجمة لسطوح المخيم

و شباكها وردة للمدى

و قطر الندى لوعة الياسمين
 و نضح السنابل قطر الندى
 و حين تغنى يغنى الحنين
 و يهفو العطاش إلى ماء زمزم (القاسم، ٢٠٠٤، ج ٢: ٤٥٤-٤٥٥)

الخاتمة:

يشكل التاريخ و الدين و الأسطورة و الأدب مصدراً هاماً من مصادر الرمز عند سميح القاسم يدخل الرمز و الأسطورة في بناء الصورة الشعرية عند سميح القاسم، و يكثر سميح القاسم من الرموز الفنية التراثية، مما يعطى للصورة موضوعية أكبر و يمنحها بعداً إنسانياً أكبر. تسيطر على قصائد سميح القاسم و رموزه الفنية -لاسيماً أعماله الأخيرة- نزعة نحو التصوف، فنجد في شعره رموز الصوفية، و تقوم هذه النزعة على الرغبة في بعثٍ جديد للإنسانية، من آلامها و أحزانها قليلاً ما يُوظف سميح القاسم رموز الخراب و الدمار كبابل و سدوم، و تطغى على رموزه رموز البعث و التجدد و الحياة كرمز طائر الرعد و الفينيق و العنقاء و الصليب، و بالتالي فرموزه تبعد شبح اليأس عن القارئ و تبعث في نفسه الأمل. و يتميز الرمز عند سميح القاسم بالإيحاء القريب العميق، و هذا عائد إلى رغبة الشاعر في إيصال أفكاره للمتلقى، دون أن يقلل هذا من جمالية الرمز و ثرائه بالمعنى. كما نجح الشاعر في إعادة صياغة الرموز الأسطورية برفض مقولتها السلبية و التأكيد على الناحية الإيجابية، كما هو الحال في قصيدة (عروس النيل)

حيث يرفض الشاعر مقولة الأسطورة السلبية القائلة بالتحضية بالفتيات و الاستسلام للطبيعة، ليكون الحل الذي يطرحه الشاعر بالواجهة و بناء السدود لدرء خطر الفيضان، و يُظهر هذا الإستخدام للرموز التراثية موقف القاسم من التراث، فهو يقبلُ من التراث كلَّ ما يحضُّ على العمل و المواجهة و يرفضُ من التراث كلَّ الأفكار الرجعية العقيمة التي تبعث على اليأس و القنوط.

المصادر و المراجع:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، طبعة وزارة الأوقاف السعودية.
- ٣- أحمد، محمد فتوح، ١٩٨٤م، الرمز و الرمزية في الشعر المعاصر، ط ٣، القاهرة: دار المعارف.
- ٤- اسماعيل، عز الدين، ١٩٨١م، الشعر العربي المعاصر، ط ٣، بيروت: دار العودة.
- ٥- الحموي، ياقوت، ١٩٥٧م، معجم البلدان، بيروت: دار صادر .
- ٦- الخضراء الجيوسي، سلمى، ٢٠٠١م، الإتجاهات و الحركات في الشعر العربي الحديث، ط ١، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- ٧- القاسم، سميح، ٢٠٠٤م، الأعمال الشعرية الكاملة، ط ١، ٢٠٠٤م، بيروت: دار العودة.
- ٨- السويدان، طارق، ٢٠٠٥م، فلسطين التاريخ المصور، ط ٤، الكويت.
- ٩- عباس، احسان، ١٩٩٦م، فن الشعر، ط ١، بيروت: دار صادر و دار الشروق عمان.
- ١٠- عباس، إحسان، ١٩٨٧م، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، الكويت: عالم المعرفة.
- ١١- عبد النور، جبور، ١٩٧٩م، المعجم الأدبي، ط ١، بيروت: دار العلم للملايين.
- ١٢- عيد، رجاء، ١٩٨٥م، لغة الشعر، (قراءة في الشعر العربي الحديث)، الإسكندرية: منشأة المعارف.
- ١٣- مصطفى، ابراهيم و آخرون، ١٣٨٥ش، المعجم الوسيط، طهران: مكتبة المرتضوى.
- ١٤- مكليش، أرشيبالد، ١٩٦٣م، التجربة و الشعر، بيروت: دار اليقظة العربية و دار النهضة

- العربية للتأليف و الترجمة و النشر.
- ١٥- مونز، بيتر، ١٩٨٦م، عندما ينكسر الغصن الذهبي، بغداد: ترجمة صابر سعدون السعدون، دار الشؤون الثقافية العامة.
- ١٦- اليافي، نعيم، ٢٠٠٨م، تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، ط ١، دمشق: صفحات للدراسات و النشر.
- ١٧- يونس، جمال، ١٩٩١م، لغة الشعر عند سميح القاسم، ط ١، دمشق: مؤسسة النورى.
- ١٨- عوض، ريتا، ١٩٧٤م، أسطورة الموت و الإنبعث في الشعر العربي الحديث، رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الاميركية ببيروت.
- ١٩- كرم، انطوان، ١٩٤٣م، الرمزية و الأدب العربي الحديث، رسالة للأستاذية جامعة بيروت الاميركية .



پروپشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی